

## الاتساق والانسجام في المنزع البديع لدى السجلماسي

## قراءة في المفاهيم

A Conceptual Study of Cohesion and Coherence in Sijelmasi's Book  
"El Manzaa El Badia"د. ملياني إكرام<sup>1</sup><sup>1</sup> جامعة وهران 1 أحمد بن بلة (الجزائر)، البريد الإلكتروني: ikram.ikoula@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2020/11/27 تاريخ القبول: 2020/11/30 تاريخ النشر: 2020/12/10

## ملخص:

يسعى هذا المقال إلى دراسة أبرز مفاهيم اللسانية النصية من خلال المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع لأبي القاسم السجلماسي، الذي تضمن قضايا بلاغية لعلّ من أهمها فكرة الاتساق والانسجام التي بناها السجلماسي على أسس ثقافته الواسعة وإلمامه بالثراث العربي الفكري واللساني، ومن خلال العودة إلى الأصول الفكرية لهذين المصطلحين وجذورهما البلاغية، أدركنا بلطف أن المفهومين تجسداً لديه من فكرة التأليف بين النظري والتطبيقي وكثيراً ما كان يستشهد بنماذج ونصوص مقتبسة من القرآن الكريم والشعر للاستدلال على صحة فكرته. وسأوجه اهتمامي وعنايتي في هذا المقال إلى مفهومي الاتساق والانسجام للوقوف على جانب مهم من معايير نصية النص.

كلمات مفتاحية: الاتساق، الانسجام، البلاغة، المحسنات اللفظية، المحسنات المعنوية، الوحدة العضوية، التماسك النصي، المناسبة، البديع.

**Abstract:**

*The present research work is principally intended to comprehensively examine one of the pertinent concepts in textual linguistics as highlighted artfully by the influential Abi el Kacem*

المؤلف المرسل: د. ملياني إكرام.

*Sijelmassi in his book El Manzaa El Badia ; whereby he brought to the surface some key rhetoric issues and concepts , mainly with regard to coherence and cohesion as a result of his strong devotion and deep attachment to the Arab cultural , literary and linguistic heritage . A careful examination of the intellectual origins of these two key concepts and their rhetoric roots has revealed that they came into being as a result of the writer's blending between theory and practice . More than this , Sijelmassi has provided many times examples and citations quoted from the Holy Quran so that to back up and reinforce his arguments . To this end , my true light is to carefully examine and investigate the concepts of cohesion and coherence as being an important components in textual analysis .*

**Keywords: cohesion – coherence – Rhetoric – Rhetorical devices – Metaphors - Unity – Textual Coherence – Badiaa.**

يعدّ أبو القاسم السجلماسي (ت903هـ) من أشهر النقاد العرب والبلاغيين في القرن الثامن الهجري؛ لأنّه تمكن من خلال كتابه الموسوم بـ: المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع أن يجمع بين الدراسة البلاغية والنحوية واللّغوية وكذا النقدية والفلسفية، ونجده تميّز بمرجعية ذات دوافع دينية، كما تطرق في كتابه إلى بعض قضايا الشعر، وبحث في قوانين النظم وإحصائها من خلال علمين بارزين البيان والبديع. كما وقف على أهمّ المفاهيم والمصطلحات النّصية المبتوثة التي لازالت.

والمعاني للمنزع البديع في تجنيس أساليب البديع يلاحظ أنّ صاحبه قد ركّز في مصنفه على أجناس البلاغة وذكرها على النحو الآتي: "الايجاز، التخييل، الإشارة، المبالغة، الرصف، المظاهرة، التوضيح، الاتساع، الاستثناء، التكرير"<sup>1</sup>، وكان من أشد المهتمين بقضية الوحدة العضوية للقصيدة الشعرية، كما أنّه يعتبر من بين النقاد الذين تأثروا بالنقد الغربي اليوناني وعلى رأسهم أرسطو(ت322 ق.م) الذي كان بدوره يحدّث على الاهتمام بهذه القضية في النصوص فيقول: " يجب أن تؤلف الأجزاء بحيث إذا نقل أو بتر جزء انفرط عقد الكل وتزعزع، لأنّ ما يمكن أن يضاف أو لا يضاف دون نتيجة ملموسة لا يكون جزءاً من الكل"<sup>2</sup> هنا ندرك أنّ هذه الوحدة هي أساس جمالية الأعمال الأدبية عامة والقصائد الشعرية خاصة.

ونلفي -أيضا- ممن كان لهم رأي مماثل في قضية الوحدة العضوية في القصائد من العرب ابن طباطبا العلوي (ت322هـ) الذي كان سابقا في هذه القضية فيقول: "يجب أن تكون القصيدة كلّها ككلمة واحدة في اشتباه أولها وآخرها، نسجا حسنا وفصاحة، وجزالة ألفاظ، ودقة معان وصواب تأليف، ويكون خروج الشاعر من كل معنى يصنعه إلى غيره من المعاني خروجا لطيفا... حتى تخرج القصيدة كأنها مفرغة إفرغا، كالأشعار التي استشهدنا في الجودة والحسن واستواء النظم، لا تناقض في معانيها، ولا وهّي في مبانيها، ولا تكلف في نسجها، تقتضي كل كلمة ما بعدها، ويكون ما بعدها متعلقا بما مفتقرا إليها، فإذا كان الشعر على هذا المثال سبق السامع إلى قوافيه قبل أن ينتهي إليها راويه، وربما سبق إلى إتمام مصراع منه إصرارا يوجب تأسيس الشعر"<sup>3</sup> يوضح لنا ابن طباطبا تلك الوحدة بأدق معناها إذ يجعل كل ألفاظ القصيدة كالكلمة الواحدة في تلاؤم النسج والحسن والجزالة، حتى لا يحدث التكلف والغموض.

وليس غريبا أن يعرّج أبو القاسم السجلماسي على هذه القضية ويؤكد في المنزع البديع على ضرورة الالتزام بما في بناء القصائد من خلال وقوفه على مجموعة من قوانين أساليب النظم التي قد تساعد الكاتب على ترك لمسة فنية جمالية في أقاويله، ومن المؤكد أن تحقق الوحدة العضوية في القصائد لا يتم إلا بقوانين صارمة، ومعايير معينة الأمر الذي يحتم على المبدع أن يلتزم بما إن أراد أن يستقيم نظمه وتثبت شعرية أقاويله.

وظف صاحب المنزع البديع زخما كثيفا من المفاهيم والتصورات وأطلق عليها مسميات مختلفة ترتبط بأنظمة معرفية متنوعة، وأمام هذا الزخم الكثيف من المفاهيم والمصطلحات، هل نجد في مدونات أبي القاسم من المفاهيم والمصطلحات ما يتوافق مع مصطلحات ومعايير الدّراسة اللّسانية النّصية المعاصرة، وهل تتشاكل في ملامحها العامة مع مفاهيم ومصطلحات اللسانيات النّصية العالمية؟

وهل تراثنا اللغوي والنقدي والبلاغي العربي قادر على بعث مرجعية ثرية من المفاهيم والتصورات المرتبطة بنحو النص لتحديث توازنا فكريا، واستشراف آفاق المستقبل؟

والإجابة عن هذه الأسئلة -بداية- لا يمكن تبينها إلا بعد تتبعنا للمفاهيم والمصطلحات التي اعتمدها أبو القاسم السّجلماسي في مدوناته.

## 1-الاتساق وأدواته (cohesion):

وقف السّجلماسي عند المحسنات اللفظية التي تساعد على اتساق النّص، والمحسنات المعنوية التي تضفي على النّص نوعا من الانسجام، أي أنّ المحسنات الأولى تركز على الجانب التركيبي، أما الثانية فمن

حيث الدلالة فقط، وهذا ما نجده يتطابق مع ما ركّزت عليه الدراسات اللسانية الحديثة والمعايير التي أفرها دي بوجراند.

والتأمل في هذه الظواهر يدرك -لا محالة- أنها تتشابه وتتشابه كونها تسعى إلى تحقيق الوحدة العضوية، أي تعاضد الجانب الشكلي والجانب الدلالي في تحقيق التماسك النصي، الاتساق يرتبط بالمستوى الأفقي والانسجام يرتبط بالمستوى العمودي، فحسن اللفظ يعود إلى زجالة المعاني وحسن المعاني، وبالتالي هذه العناصر تنتج لنا نصًا متناسقا ومنسجما.

وقد أجمع البلاغيون العرب على أنّ الاتساق يهتم بالجانب التركيبي أي الجانب اللفظي وهو من أبرز القضايا التي نالت انشغال العلماء، لذلك فقد حظي مصطلح الاتساق بمسميات عديدة منها: السبك والترايط أو التماسك الشكلي، أو النظم عند عبد القاهر الجرجاني (ت471هـ) وأما السجلماسي فيقول في كتابه: "فقصّدنا في هذا الكتاب الملقب بكتاب المنزّع البديع في تجنيس أساليب البديع إحصاء قوانين أساليب النّظوم التي تشتمل عليها الصناعة الموضوعة لعلم البيان وأساليب البديع، وتجنيسها في التصنيف، وترتيب أجزاء الصناعة في التأليف".<sup>4</sup>

نفهم من هذا القول أنّ السجلماسي عكف على إحصاء قوانين أساليب النّظوم لتستقيم الصنعة الخاصة بعلم البيان وأساليب البديع، وأضاف التصنيف والترتيب؛ لأنه "كان يريد وضع قوانين كلية لعملية الصياغة الأدبية، فاستعان على ذلك بالبحث في الألفاظ ودلالاتها وتقابلها وعلاقتها بعضها ببعض".<sup>5</sup>

كما يمكننا دراسة الاتساق في جهات ثلاثة حسب ما ورد في كتاب السجلماسي:

**أولاً. الاتساق الصوتي:** وهو عندما يتضمن النصّ لفظتين تحملان محتوى صوتي واحد أو متقارب، فهذا ما يجعل النصّ متسقاً لما نجده من توازٍ بين جمل النصوص، وفقراتها فيخرج النصّ متسقاً.

أ- المحاذاة (المجانسة): عندما يتفق الكلام من الناحية الصوتية، ويختلف من الناحية الدلالية، ويعطي الثاني دلالة جديدة للأول، فيتشكّل الاتساق الصوتي نتيجة ترديد الجزأين صوتياً، ونجد السجلماسي عبّر عن ذلك بقوله: "هو قول مركب من جزأين متفقين لِقَبِ المثل الأول كلّ جزء منهما يدل على معنى هو عند الآخر بحال ملائمة، وقد أخذنا من جهتي وضعهما في الجنس الملائمي من الأمور، وقصد المعادلة والمداناة في أمر ما من الأمور، والمقاومة في منصب ما من المناصب"<sup>6</sup> واستشهد على ذلك بقول أبي تمام (ت845هـ):

لَا تَسْتَفِينِي مَاءَ الْمَلَامِ فَإِنِّي صَبٌّ قَدْ اسْتَعْدَبْتُ مَاءَ بُكَائِي<sup>7</sup>

من خلال استشهاده بهذا البيت الشعري يؤكد لنا السجلماسي بروز عنصر المجانسة الصوتية بين لفظي الماء الواردة في صدر البيت والثانية الواردة في العجز، وما قد تضيفه ماء الثانية من دلالة جديدة لماء الأولى، وهذا ما يدل على اتساق كلمات البيت، فمن هنا ندرك أن المحاذاة (المجانسة) الصوتية تساعد أبيات القصيدة على الترابط فيما بينها وتجعل أوامر النص متماسكة. وقسم السجلماسي المحاذاة إلى قسمين:

**1-المزاوجة :** هذا القسم خاص بالمزاوجة المعنوية، وتكون علاقتها قائمة على المشابهة أو الاستعارة، بحيث يكون فيها الارتباط الصوتي بين زوجين من الألفاظ متفقين من حيث الصياغة الصوتية مختلفين من ناحية المعنى، ويقول السجلماسي في المنزع حول هذا القسم: "قسم مركب من جزأين متفقي المادة والمثال، كلّ جزء منهما يدل على معنى هو عند الآخر بحال ملائمة، وقصد المقاومة في أمر من الأمور، والمداناة والمعادلة في منصب من المناصب على طريق استعارة المعنى الأول المدلول عليه بالجزء الأول من القول للمعنى الثاني المدلول عليه بالجزء الثاني منه".<sup>8</sup>

إنّ المعنى الذي يحمله اللفظ الأول يستدعي بالضرورة المعنى الثاني للفظ الثاني في القول وهذا ما ينطبق على سائر أبيات القصيدة فيمكننا أن نقول حسب ما أورده السجلماسي في هذه القضية أنّ المزاوجة تعتبر من بين أدوات الاتساق اللفظي إذ نجدها تساعد على ترابط جمل النص، وهذا ما أصبح ينعت في الدرس اللسانيّ النصّي بالاتساق.

وأورد أبو القاسم أمثلة تخص هذه القضية منها قول الله عزّ وجلّ: ﴿فَمَنْ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾<sup>9</sup> الملاحظ في هذه الآية أنّ اللفظتين (اعتدى) و(اعتدوا) متجانستان من حيث الصياغة الصوتية بحيث تشتركان في الأصوات (ا، ع، ت، د) كما أنّ لفظة (اعتدوا) أضافت معنى جديدا للمعنى الأول؛ أي تحقيق المساواة بالعدالة وجزاء اعتدائه، هنا ندرك تلك المزاوجة بين اللفظتين باستعارة (اعتدى) الأول لمعنى (اعتدوا) الثاني.

**2-المناسبة:** هو ارتباط زوجين من الألفاظ بارتقائهما معا إلى جنس معنوي واحد، ولكن يختلفان في الجهة، يقول السجلماسي: "هو قول مركب من جزأين متفقي المادة والمثال، كلّ جزء منهما يدل على معنى هو عند الآخر بحال ملائمة، وقد أخذنا من جهتي وضعهما في الجنس الملائمي من الأمور، وقد قصد المعادلة والمداناة في منصب من المناصب لا على جهة الاستعارة لكن لنسبة أخرى وهي ارتقاؤهما معا إلى

جنس واحد يعمهما والتفائهما فيه على السواء<sup>10</sup> وهنا يمكننا أن نقول أنّ المناسبة وسيلة من وسائل ترابط أجزاء النص، حيث تحيل جملة إلى جملة أخرى وهذا ما يمكننا أن نسميه الاتساق.

أ- التريديد: يكون فيه الارتباط بين زوجين من الألفاظ من الناحية الصوتية مختلفين من الناحية المعنوية، أي أن يوظف الشاعر نفس اللفظة بمعاني مختلفة، فينتج عن هذا الترابط بين أجزاء النص من خلال التناسب الصوتي الذي يحدثه التريديد يقول: " وهو قول مركب من جزأين متفقي المادة والمثال، كل جزء منهما -مع كونهما في جنس الملائمي- محمول عليه ومعلق به أمر ما غير الأول" واستشهد بقول زهير:

مَنْ يَلْقَ يَوْمًا عَلَى عِيَالِهِ هَرِمًا يَلْقَى السَّمَاةَ مِنْهُ وَالنَّدَى خُلُقًا<sup>11</sup>

ما يمكننا أن نستشفه من خلال هذا البيت الشعري أن الكلمتين "يلق" المتواجدة في الصدر مشابهة للفظة "يلق" الواردة في الصدر من حيث الجانب الصوتي والصياغة لكنهما مختلفتان من الجانب المعنوي، فنلاحظ أنّ الاتساق الصوتي في هذه الحالة يكمن في ترديد نفس اللفظة في البيت الواحد، وعلق السجلماسي شارحا ذلك الاختلاف، إذ تعني الأولى الهرم والثانية تعني السماحة<sup>12</sup>، ولا يمكننا اعتبار التريديد هو نفسه التكرار؛ لأن هذا الأخير تكون فيه الألفاظ متطابقة في المعنى والشكل والصوت.

ثانيا. الاتساق المعجمي:

يعتبر مظهرا آخر من مظاهر التماسك النصي وهو تعامل النصوص على أنّها نسق من التوافقية (الاحتمالية) لسّمات مختلفة من الوحدات المعجمية الموجودة في النص الواحد<sup>13</sup> عن طريق تكرار الصفات الدلالية من جهة واستدعاء بعض هذه الألفاظ لبعضها الآخر من خلال علاقات معجمية (التضاد، التخالف، التعاكس) ويطلق عليه بالتضام من جهة ثانية.<sup>14</sup> ويعتبر أداة من أدوات الاتساق التي نبجدها بين مفردات النص ويقوم بربط أجزاء النص معجميا ليحقق للنص نصيته، كما أنه يحقّق الاستمرارية في النصّ.

ويتحقق هذا الاتساق المعجمي أو كما يسميه البعض السبك المعجمي بوسيلتين هما التكرار والتضام أو المصاحبة المعجمية.

أ- التكرار (Réitération): معاني مادة كرر هي " الكرّ: الرجوع، والكرّ: مصدر كرّ عليه يكرّ كرا وكُرورا وتكرارا: عطف. وكَرَّرَ الشيءَ وكَرَّرَهُ: أعاده مرة بعد أخرى. والكرّة: المرّة، والجمع الكرّات. ويقال: كَرَّرْتُ عليه الحديث وكَرَّرْتُهُ إِذَا رَدَدْتَهُ عَلَيْهِ. وكَرَّرْتُهُ عَنْ كَذَا كَرَّرْتُهُ إِذَا رَدَدْتَهُ. والكرّ: الرجوع على الشيء، ومنه التكرار".<sup>15</sup>

ويعرفه الرضي الاسترأبادي (ت686هـ): "التكرير ضم الشيء إلى مثله في اللفظ مع كونه إياه في المعنى للتأكيد والتقرير"<sup>16</sup> وهذا ما يتفق مع تعريف السجلماسي عندما عرّفه في كتابه بقوله: "كّرر تكريرا: ردّد وأعاد والتكرار هو بنية مبالغة وتكثير وهو إعادة اللفظ الواحد بالعدد أو بالنوع (أو المعنى الواحد بالعدد أو بالنوع) في القول مرتين فصاعداً"<sup>17</sup>. عند اطلاعنا على تعريف صاحب المنزع ندرك أنه يقترب من التعريفات التي وردت في اللسانيات النصية. فهذه التعاريف تحمل في طياتها بعضا من معاني الاتساق، إذ نجد من بين وظائف التكرار الضم، وهذا الأخير يدل على ربط الشيء بما ضم إليه وبهذا يتحقق الاتساق.

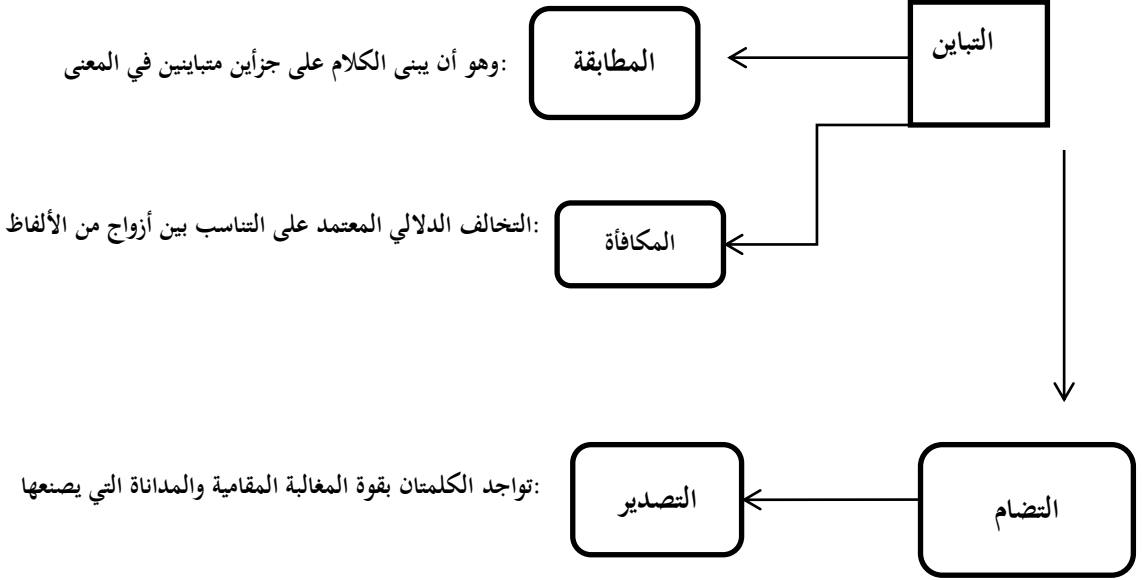
ويقسم السجلماسي التكرار المعجمي إلى:

- التكرار التام: ويجعله السجلماسي في نوعين اللفظي ويسميه بالمشاكلة؛ لأنه يهتم بالجانب اللفظي والصياغة، أما الثاني معنوي ويسميه المناسبة وسنترك الحديث عن الجانب المعنوي في الشق الثاني من هذا البحث.

ثم يجعل التكرار اللفظي في قسمين الاتحاد والمقاربة، فالأول يعرفه على أنه إعادة اللفظ الواحد بالعدد وعلى الإطلاق مرتين فصاعداً ويقسمه إلى البناء والتجنيس، فإذا كان معنى اللفظ الثاني مع اتحاد اللفظتين على الإطلاق بعينه هذا ما نسميه بناء وإذا كان معنى اللفظ الثاني مابنا لمعنى الأول فهو التجنيس"<sup>18</sup> هنا ندرك أن التكرار التام يجعل من القصيدة بصفة خاصة والنصوص بصفة عامة كلاً موحدًا ومحكمًا لذلك يلجأ الكثير من الشعراء المعاصرين إلى قضية التكرار في قصائدهم لجعلها متنسقة متماسكة ويعدّ عزّ الدّين ميهوبي واحدا منهم.

ب- التّضام (Collocation): (المصاحبة المعجمية)

وهذه الخاصية تقوم بجمع أزواج من الألفاظ التي تتفق أو تختلف في المعاني بحيث تستدعي بعضها بالفعل أو بالقوة بعضها الآخر، وقد ترد في المعنى عن طريق التلميح لا التصريح، وقد تعطينا تلك العلاقة القائمة بين الألفاظ نوعا من الاتساق التّصي وهذا ما نجده عند السجلماسي في كتابه تحت عنوان التصدير والتباين، ومن خلال هذا المخطط سنبيّن التقسيمات التي وضعها ابو القاسم تحت عنوان التّضام:<sup>19</sup>



رد أعجاز الكلام على صدورها أي يستدعي الصدر ذلك العجز بحسب وضعهما في السياق المعجمي والدلالي.

ويعدّ كل من التكرار والتضام من الظواهر اللغوية ذات الأثر الواضح في اتساق النص، لذلك يؤكد السجلماسي على ضرورة توظيف هذه الأدوات عند بناء الأقاويل لتصبح هذه الأخيرة متماسكة الأركان متناسقة الأجزاء، كما أنه أسهب في الحديث حول هذه الأدوات باعتبارها من أبرز الوسائل التي نجدها في البنية السطحية للنص وكذا بين مفردات النص، حيث يجعلها كلاً مترابطة من البداية إلى نهاية النص، كما أنّها تترك تلك اللمسة الفنية الجمالية التي تشدّ اهتمام القارئ، وتحقق للنص نصيبته.

ثالثاً. الاتساق التركيبي:

درس السجلماسي الصياغة اللفظية من كل الجوانب بدءاً بالصوت، ثم الدلالة وصولاً إلى التركيب، ورأى أن الاتساق في هذا الجانب يحدث في الفنون الآتية:

1- المعادلة:



ونجد هذه الخاصية كما عدّها السجلماسي في كتابه مرتبطة بمدى توافق الصياغة مع المبدع والمتلقي، فإذا وظف الكاتب تركيبين متعادلين في الصياغة النحوية سينتج عنهما نوعا من الاتساق في صياغة ذلك النص، وهذا ما وضعه أبو القاسم في كتابه تحت مسمى المعادلة وعرفها قائلا هي: "إعادة اللفظ الواحد بنوع الصور فقط في القول بمادتين مختلفتي البناء مرتين فصاعدا"<sup>20</sup> نستنتج أن هذا التعادل الوارد بين التراكيب يحدث لنا اتساقا في النص. والملاحظ أن صاحب المنزع في مصنّفه فرّع المعادلة إلى:

أ- **التصريع**: وقد عدّه بالتركيب الجوهرى يقول: "التصريع: التركيب وهو إعادة اللفظ الواحد بالنوع في موضعين من القول فصاعدا هو فيهما متفوّق النهاية بحرف واحد وذلك أن تصوير الأجزاء وألفاظها متناسبة الوضع متقاسمة التّظم معتدلة الوزن متوحى في كلّ جزئين منهما أن يكون مقطعاُهما واحدا".<sup>21</sup>

ب- **الموازنة**: وهي "إعادة اللفظ الواحد بالنوع في موضعين من القول فصاعدا هو فيهما مختلف النهاية بحرفين متباينين وذلك أنه تصيّبُ أجزاء القول متناسبة الوضع متقاسمة النظم معتدلة الوزن، متوحى في كلّ جزءٍ منهما أن يكون بزنة الآخر دون أن يكون مقطعاُهما واحدا وهو فضل الموازنة الذي يبين به التصريع".<sup>22</sup>

## 2- التحليل:

هذه الخاصية إلاّ بفضل ذلك الانقسام المنبثق من المعنى الكلي وكذا بفضل تلك العلاقة الدلالية التي نلمسها في التركيب الأول والثاني، وجعل التحليل أيضا في قسمين: التقسيم والتسهيم وهذه التقسيمات الأخيرة تركّز على الجانب الدلالي أكثر من الشكلي لكنها تصب في منحى واحد ألا وهو جعل النص متلاحما وتُظهر نصية النص عبر ترابط أجزائه.

ما نستشفه من هذه التقسيمات التي وضعها أبو القاسم أنه كان يحاول دراسة قضية الاتساق من كل المستويات، ولم يغفل عن أية آلية تساعد على ضمّ أجزاء النص وعلى الالتحام والتماسك، وما نلاحظه بعد اطلاعنا على كل هذه الشروحات أنه كان يقدم الجانب النظري للقضية ويصحبه بالجانب التطبيقي سواء من القرآن الكريم أو الأقاويل الشعرية.

ومن خلال تطرقه لهذه التعريفات ندرك أن هذه الوسائل تساعد على تناسق النص من الناحية التركيبية متجاوزا مستوى المفردات، بل انتقل إلى أوسع من ذلك عندما عرّج على الجمل، كما نلاحظ أنه مزج بين الاتساق التركيبي والصوتي والدلالي لما لهم من أهمية بارزة في جعل النصوص كلاً موحداً.

نستنتج مما سبق أن للسجلماسي وجهة نظر مماثلة لما يسعى إليه الدرس اللساني النصي حول قضية الاتساق والأثر الذي يضيفه على النص، فهو يربط تحقق الاتساق في الأقاويل راجع إلى توظيف بعض الوسائل التي تجعل ذلك الخطاب كلاً متماسك الأجزاء، لكنه ربط تلك الأدوات بعلم البديع وهنا يكمن الاختلاف، لكن مصطلح الاتساق لديه يرمي دائماً إلى غاية واحدة، وهي التناسب بين الأجزاء والألفاظ والتراكيب وهذا ما تسعى إليه كذلك الدراسات اللسانية الحديثة.

### ثانياً. الانسجام **cohérence**:

اعتبرت الدراسات اللسانية النصية الانسجام المعيار الأساس الذي يشترطه الدارسون ليصبح النص وحدة متكاملة؛ لأنّ أشكال الترابط سواء كانت بأدوات معينة أو دون أدوات تستلزم النظر إلى النص كونه وحدة متجانسة متكاملة، من خلال التركيز على وسائل انسجام النص التي يمكن استنتاجها عن طريق أدلة وقرائن معنوية وسياقية.<sup>23</sup>

إنّ لمصطلح الانسجام عدّة ترجمات ومقابلات سواء في تراثنا العربي أو عند المحدثين، فنجد ما يقابله في التراث: كالتناسب والالتحام والترابط المعنوي والحبك، أما في الدرس اللساني النصي الحديث نلّفني محمد خطابي فضّل مصطلح الانسجام، أما تمام حسان فنعتته بالالتحام، ومحمد مفتاح بالتشاكل، وسعد مصلوح بالحبك، لكن رغم اختلاف المسميات إلا أن جلّها يصب في مفهوم واحد وهو الطريقة التي يتم بها ربط الأفكار داخل النص<sup>24</sup> لإبراز نصيبته.

ومصطلح الانسجام أعم من الاتساق؛ لأنه يتجاوز الأبنية السطحية الشكلية ويتوغّل في التراكيب وما تحمله من دلالات، ويرتبط هذا المعيار بالمتلقي؛ لأن هذا الأخير هو الذي يكتم على مدى انسجام النص من عدمه؛ فالمتلقي هو الركيزة الأساسية التي تحكم على انسجام النص دلالياً، ومنه سأحاول أن أبحث في كتاب المنزح عن المفاهيم والمسميات التي تؤدي وظيفة دلالية وتتطابق مع الانسجام.

وبعد اطلاعنا على كتاب المنزع يمكننا أن نقسم الأدوات حسب ما صنفها السجلماسي في كتابه إلى:

## أولاً. الإحالة Reference:

تعدّ الإحالة مظهراً من مظاهر التماسك الداخلي لعناصر النص باعتبارها وسيلة لاختزال المعنى، فاللغة نفسها نظام إحالي<sup>25</sup> وقد تقسم الإحالة في الدرس اللساني النصي المعاصر على الشكل الآتي:

### 1- إحالة خارج النص (مقامية) (Exophoriquer)

### 2- إحالة داخل النص (نصية) (Endophorique) وهي تنقسم إلى نوعين:

أ- إحالة على السّابق (قبلية): (anaphorique) تعود على مفسر سبق التلطف به

ب- إحالة على اللاحق (بعديّة) (cataphorique): تعود على عنصرٍ إشاريّ مذكور بعدها في النص.

أما تقسيم السجلماسي الوارد في المنزع يقسمها إلى: الإحالة المطلقة والإحالة المقيدة وهذا التقسيم يتضمن في طياته الإحالة الداخلية والخارجية، وستتناول الإحالة حسب ما أوردها أبو القاسم في مصنفه.

**1- الإحالة المطلقة:** وسميت بالمطلقة؛ لأنها غير مرتبطة بعلامات تشير على مرجع الإحالة وجعلها أبو القاسم في أنواع منها التذييل ويتحقق فيه الانسجام بفضل تأكيد المعنى الجزئي بمعنى كلي دون تقديم إشارات على الإحالة، ويمكن لمجها من سياق النص.

ويعرف السجلماسي التذييل بقوله: "هو قول مركب من جزأين فيه أولهما يجري مجرى الوضع والآخر يجري مجرى حُجّة الوضع وقد نرسمه بأنه قضية كلية تؤكّد بها قضية جزئية"<sup>26</sup> فبفضل تلك العلاقة القائمة بين المعنى الجزئي والكلّي داخل النصّ نضفي على الكلام بهاء، وعلى المعنى وضوحاً وانسجاماً، كما أنّه فتح التذييل إلى أدوات اعتبرها وسائل مهمة لتحقيق ذلك الترابط المعنوي في النصوص وهي القياس، والمثال، والتميم.

### 2- الإحالة المقيدة: (الإشارية)

وهي الإحالة التي لها علاقة بعلامة سترشدنا إلى مرجعها، وجعل السجلماسي هذا النوع من الإحالة في:

- التكرار: - وقد سبق ذكره - حينما نجد المعنى الثاني يحيل على الأول وهذا بحضور إشارة نصية تشير على الإحالة.

- الإضافة: وردت في كتابه بمعنى التّكميل، وهي أن يتضمّن النّصّ تعبيرين أحدهما يضمّ الثاني، أي معنى الجملة الثانية يكمل معنى الجملة الأولى، وقسمها إلى المناسبة والتفريع.

- الاستبدال: ما يقابل هذا المصطلح في مصنّف أبي القاسم فن الملابس أو المداخلة، وعرفهما حينما قال: "وهو تداخل المعاني غير ذات الصيغ، أعني التي ليس لها صيغة ولا شكل لفظ أو قول يدل عليه باختصاص وضع، وهذا النوع جنس متوسط تحته أربعة أنواع: الأول: إخراج إحدى الجهات بصورة الأخرى، والجهة على ما عرف في المنطق، الثاني: تسمية السبب باسم المسبب ومقابلته، الثالث: وُضِعَ المدح موضع الذم ومقابلته، الرابع تسمية الشيء بما كان له وأولاه".<sup>27</sup>

- الحذف: يسمح الحذف للمتلقي أن يُكدّد ذهنه ليكشف تلك المحذوفات باعتماده على السياق النّصي، والاختلاف الوارد بين الاستبدال والحذف أنّ الأول يترك أثرا في عنصر الاستبدال، أما الثاني فلا يخلف أثرا ظاهرا، وإنما أثره يكمن في حذف أحد العناصر، ونجد الحذف في المنزغ البديع لغايات مختلفة منها الإيجاز والاختزال.

مما سبق نستنتج أن الانسجام يكون نتيجة تعالق مجموعة من المعاني داخل النص وجعل بعضها سببا من بعض، من خلال إحالة المعنى إلى غيره أو إضافته أو استبداله أو حذف بعض عناصره.

## الهوامش

<sup>1</sup> - المنزغ البديع في تجنيس أساليب البديع، لأبي محمد القاسم السجلماسي، تقديم وتحقيق علال الغازي، مكتبة المعارف، الرباط، المغرب، ط1، 1401-1980، ص180.

<sup>2</sup> - فن الشعر، أرسطو طاليس، مع الترجمة العربية القديمة وشرح الفرابي وابن سينا وابن رشد، ترجمة عن اليونانية وشرحه وحقق نصوصه عبد الرحمن بدوي، ملتزمة الطبع والنشر مكتبة النهضة المصرية، 1953، ص26.

<sup>3</sup> - عيار الشعر، ابن طباطبا العلوي، شرح وتحقيق عباس الساتر، مراجعة نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 1402هـ/1982م، ص131.

<sup>4</sup> - المنزغ البديع في تجنيس أساليب البديع، السجلماسي، ص180.

- <sup>5</sup> - ينظر الأثر الأرسطي في النقد والبلاغة العربيين إلى حدود القرن الثامن الهجري، عباس أرحيلة، تحت إشراف الدكتور أجد الطرابلسي بكلية الآداب والعلوم الانسانية، الرباط 1999، ص 703.
- <sup>6</sup> - المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، السجلماسي، ص 395.
- <sup>7</sup> - الديوان: أبو تمام، ص 23.
- <sup>8</sup> - المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، السجلماسي، ص 401.
- <sup>9</sup> - سورة البقرة، الآية 194، الآية كاملة: ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ ۗ فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾.
- <sup>10</sup> - المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، السجلماسي، ص 403.
- <sup>11</sup> - المصدر السابق، ص 412.
- <sup>12</sup> - ينظر المصدر نفسه، ص 412.
- <sup>13</sup> - ينظر مدخل إلى علم اللغة النصي، فولفجانج هاينه من وديتر فيهفيجر، ترجمة الدكتور فالح بن شبيب العجمي، النشر العلمي والمطابع، جامعة الملك سعود 1419هـ - 1999م، الرياض - السعودية، ص 39.
- <sup>14</sup> - ينظر لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، ص 24.
- <sup>15</sup> - لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الافريقي المصري جمال الدين أبو الفضل، المجلد الخامس، دار صادر - بيروت، ص 135.
- <sup>16</sup> - شرح كفاية ابن الحاجب، رضي الدين محمد بن الحسن الأستراباذي، قدم له ووضع حواشيه وفهارسه اميل بديع يعقوب، الجزء الأول، دار الكتب العلمية، ص 46.
- <sup>17</sup> - المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، السجلماسي، ص 476.
- <sup>18</sup> - المصدر السابق، ص 477.
- <sup>19</sup> - المصدر نفسه، ص 369، 370، 381، 406.
- <sup>20</sup> - المصدر السابق، ص 508.
- <sup>21</sup> - المصدر السابق، ص 508.
- <sup>22</sup> - المصدر نفسه، ص 514.
- <sup>23</sup> - ينظر علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات، د. سعيد حسن بحيري، مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر - لوجنمان، ط 1997، ص 117.
- <sup>24</sup> - ينظر النص الغائب، تجليات التناس في الشعر العربي، محمد عزّام، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق 2001، ص 48.

- <sup>25</sup> - نسيج النص بحث في ما به يكون الملفوظ نصا، الأزهر الزناد، المركز الثقافي العربي، ط1، بيروت، 1993، ص116، 115.
- <sup>26</sup> - المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، السجلماسي، ص312.
- <sup>27</sup> - المصدر السابق، ص293.

### قائمة المصادر والمراجع:

- 1- القرآن الكريم
- 2- المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، لأبي محمد القاسم السجلماسي، تقديم وتحقيق عمال الغازي، مكتبة المعارف، الرباط، المغرب، ط1، 1401-1980
- 3- فن الشعر، أرسطو طاليس، مع الترجمة العربية القديمة وشرح الفرائي وابن سينا وابن رشد، ترجمة عن اليونانية وشرحه وحقق نصوصه عبد الرحمن بدوي، ملتزمة الطبع والنشر مكتبة النهضة المصرية، 1953
- 4- عيار الشعر، ابن طباطبا العلوي، شرح وتحقيق عباس الساتر، مراجعة نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 1402هـ/1982م
- 5- الأثر الأرسطي في النقد والبلاغة العربيين إلى حدود القرن الثامن الهجري، عباس أرحيلة، تحت إشراف الدكتور أجد الطرابلسي بكلية الآداب والعلوم الانسانية، الرباط 1999.
- 6- ديوان أبو تمام.
- 7- مدخل إلى علم اللغة النصي، فولفجانج هاينه من وديتر فيهفيجر، ترجمة الدكتور فالح بن شبيب العجمي، النشر العلمي والمطابع، جامعة الملك سعود 1419هـ- 1999م، الرياض -السعودية.
- 8- لسانيات النص (مدخل إلى انسجام الخطاب)، محمد خطايي، ط1، 1991، المركز الثقافي العربي، بيروت.
- 9- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الافريقي المصري جمال الدين أبو الفضل، المجلد الخامس، دار صادر - بيروت.
- 10- شرح كفاية ابن الحاجب، رضي الدين محمد بن الحسن الأستراباذي، قدم له ووضع حواشيه وفهارسه اميل بديع يعقوب، الجزء الأول، دار الكتب العلمية.
- 11- علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات، د. سعيد حسن بحيري، مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر -لونغمان، ط1 1997.

12- النص الغائب، تجليات التناس في الشعر العربي، محمد عزّام، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق . 2001

13- نسيج النص بحث في ما به يكون الملفوظ نصا، الأزهر الزناد، المركز الثقافي العربي، ط1، بيروت .